ملك الروس لايبسط يدهُ الاَّ وقد اعد مطمعاً يقبض عليهِ . ذاك مستدل في معيشتهِ الداخلية واهوائهِ الى حد لايباريهِ فيهِ مبارٍ ولم تبدر منهُ بادرة توحش الاَّ مرة واحدة . وهذا ترهبهُ رعاياهُ وتعجب بهِ الغرباء مفرط في اهوائهِ مقصر في حق نفسهِ حتى اختصر لها طريق الحياة . لُقب كارلوس « الملك الذي لايقهر » وهو لقب متثلقل تنزعهُ منهُ ساعة حرب واحدة ينالهُ فيها الفشل . ولقب عدوهُ « بطرس الاكبر » او « بطرس العظيم » وهو لقب ثابت يبقى لهُ ان انتصر او انكسر لانهُ لم يربحهُ من وراء النصر وحدهُ »

وقد وصف نولتير موقف بطرس الاكبر في معركة بولتاوى فقال :

« وكان في وسط جيشهِ يتنقل بين صفوفهِ ممتطياً جواداً تركياً حاثاً قوادهُ وجنودهُ على الاقدام والثبات واعداً كلاً منهم بحسن الجزاء »

ولما تم الفوز لبطرس الاكبر اقام مأدبة كبيرة دعا اليها امراءهُ من ضباط الاسوجيين واشار اليهم يدعو شاربًا كأسهُ قائلاً (اني اشرب على صحة ضيوفنا الذين علمونا فن الحرب) فذكرنا بلينهِ سلماً وشدتهِ حرباً قول القائل :

اني لاكثر مما مسني عجباً يد تشج واخرى منك تأسوني

ادوار مرقص

مدافن مريشة

عمران فلسطين قديم مثل عمران مصر ان لم يكن أقدم منهُ ولم يزل في البلاد كثير من آثار عمرانها السابق مدفونًا تحت انقاض مدنها وفي قبور ملوكها وكبرائها واهل البحث ينقبون عنهُ وقد ضعفت همتهم في العهد الحميدي لشدة المراقبة عليهم ولكن المراقبة أفادت ولم تضر لانها حفظت آثاراً كثيرة من مغادرة البلاد وعسى ان تبقى على حالها من هذا القبيل على شرط ان ينشأ في سورية دار لتحفها يحفظ فيها ما يكشف منها كما تحفظ الآثار المصرية في دار تحفها

وقد بعث الينا حضرة الفاضل فيضي افندي العلمي رئيس بلدية اورشليم بكتاب اهدتهُ اليهِ جمعية النقب في فلسطين وصفت فيهِ مدافن مريشة المصورة اعتراقاً بما لهُ من الايادي البيضاء في مساعدة الذين كشفوها وصوّروها ووصفوها

والظاهر ان المستر فمنر والمستر جون هوبنتج كانا اول الاوربيين الذين رأوا هذه المدافن بعد اكتشافها وقد كشفت سنة ١٩٠٢ . وهي على مقربة من بيت جبرين واتفق ان الدكتور

يتْرس الاميركي والدكتور ثيرش الالماني كانا سائحين في فلسطين في ذلك الوقت فاستأجرا دليلاً اخذهما اليها فرأيا انها من المكتشفات ذات الشأن الكبير وقاساها وصوّراها ورسمها الخواجه رعد من مصوري اورشليم بالفوتوغراف وصورها الأب فلنت والاب سافنياك بالوانها

والمدافن التي فيها صور ملونة قليلة في سورية فقد ذكر رفان انهُ وجد في كهف ابلون بصيداء بعض المدافن وعلى جدرانها صور ملونة ولكنها ساذجة . اما فلسطين فلم يوجد فيها من المدافن المصورة قبل مدافن مريشة او بيت جبرين غير ثلاثة

وبيت جبرين قرية قائمة حيث كانت مدينة قديمة من مدن فلسطين الحصينة . وقد كان لها شأن في زمن الحروب الصليبية فبنى الصليبيون فيها قلعة حصينة وكانت مدينة كبيرة في زمن الروم وكرسيًّا اسقفيًّا لكن شأنها الاكبر كان في زمن الرومانيين ولاسيما سنة ٢٠٠ للميلاد حين بناها الامبراطور سبتيموس سويرس وسمّيت الثيرو بوليس . ولا تزال هناك آثار الطرق الرومانية التي كانت تمتدّ منها الى كل الجهات . وذكرها يوسيفوس المؤرخ باسم بيت جبرين ولعلّ معناهُ بيت الجبار او بيت الجبارين ومن رأي مؤلفي هذا الكتاب ان المدينة القديمة الحصينة كانت على تحو ميل الى الجنوب من بيت جبرين الحالية في المكان المسمّى الآن تل سندحنا اي مار يوحنا نسبة الى دير هناك لان موقعها الطبيعي احصن من موقع بيت جبرين وهي مريشا او مريشة المذكورة في سفر ميخا النبي وفي سفر الايام الثاني حيث حدثت معركة كبيرة بين آسا ملك يهوذا وبين زارح الكوشي فدارت الدائرة على زارح

وصارت مريشة من عواصم تلك البلاد في عهد الادوميين ودخلت في سهم سلوقس مع غزة بعد وفاة الاسكندر المكدوني واخذها البطالسة سنة ٣١٢ قبل الميلاد ثم أُخذت منهم واعيدت اليهم سنة ٢٧٤ واخذها منهم انطيوخس الكبير سنة ٢١٨ ولكن دارت الدائرة على جنوده في رفح في السنة التالية فاستردتها مصر وبقيت تابعة لها الى ان حدثت معركة بانياس سنة ١٩٨ فعادت الى انطيوخس الكبير هي وكل فلسطين ثم اعطاها لابنته التي ازوجها لملك مصر . وكان لها شأن في حروب المكابيين واخربها الفرس سنة ٤٠٠ قبل المسيح ولم تعد تذكر من ذلك الحين الاّ كخرب وصارت بيت جبرين تذكر بدلاً منها

والمدافن الموصوفة في هذا الكتاب اربعة وفي كل منها قبور كثيرة كما في الشكل الاول وهو رسم المدفن الاول والحُجَر التي على جوانبهِ قبور مستقلة . والمدفن كلهُ نحوت في الصخر كمدافن القراعنة ينزل اليهِ بدرج فيجد الداخل اولاً داراً فسيحة مربعة حيث الحرف ٨ والى يمينهِ ويسارهِ جناحان كبيران والقبور على جوانبهما وامامهُ مدخل آخر يوصل منهُ الى غرفة طويلة

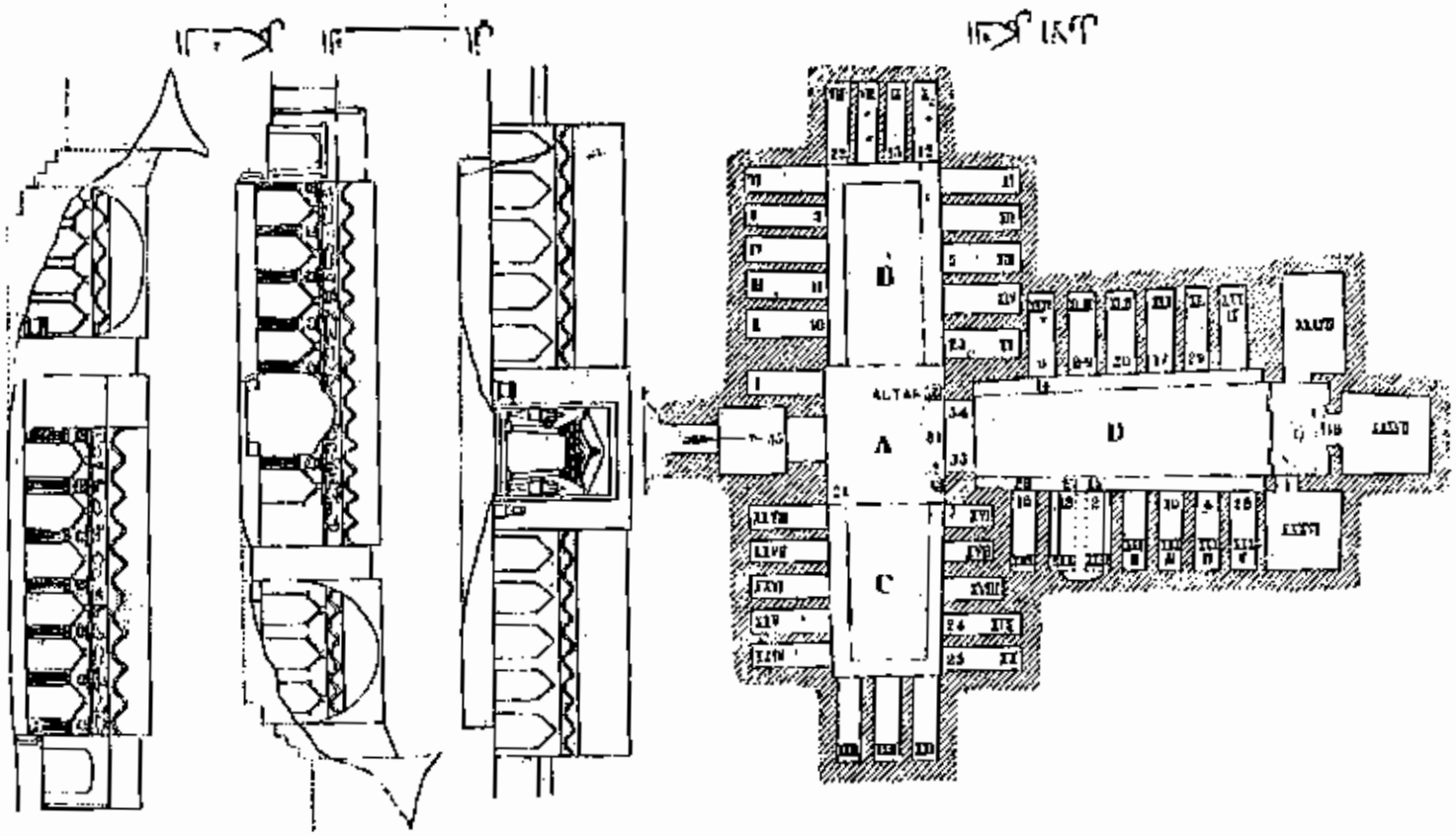
B
A
C
D

صورة مطاردة الصيد على الواجهة الجنوبية انظر الصفحة ٧٦٩

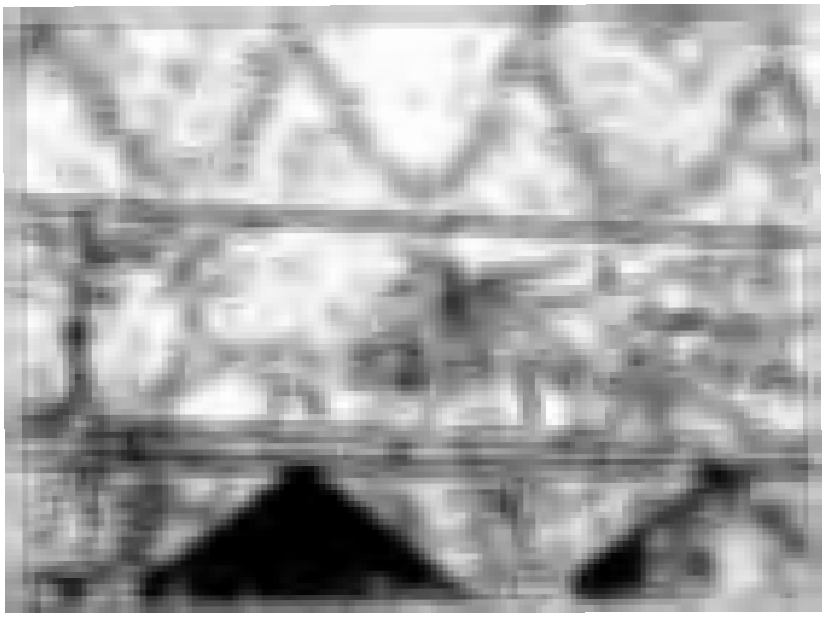

صورة خنزير وتنين ووعل

والقبور على جانبيها وجملة القبور في هذا المدفن ٤٤ ثلاثة منها كبيرة وهي التي في طرف الفرع الشرقي وطول كل قبر من القبور الصغيرة ٢٤٠ سنتمتراً وعرضهُ ٧٢ سنتمتراً ما عدا القبرين ١٦ و٢٧ وواجهات القبور مصورة وبعضها منقوش نقشاً غائراً في الحجر كما ترى في الشكل الثاني فان القسم الاعلى منهُ صورة الواجهة التي يراها الداخل متى وصل الى الحرف A والقسم الاوسط صورة الواجهة الداخلية اذا وقف الناظر عند الحرف D والتفت الى الجنوب . والقسم الاسفل صورة الواجهة المقابلة لها

ومن النقوش الملونة في هذه الواجهات كما ترى في القسم الاوسط من الشكل الثاني مبتدئاً من الزاوية الجنوبية الغربية صورة مطاردة الصيد فاولاً صورة رجل يمتطي جواداً وهو لابس رداء أصفر تحتهُ ثوب ابيض وقد تمنطق بمنطقة وارخى لها عذبتين لكن شيخ بيت جبرين اتلف وجههُ لما كُشف غيرةً منهُ على حفظ الشعائر الدينية . وكان شعرهُ مربوطاً بشريط أحمر وقد عبثت به الريح وفي قدميهِ خفان ربطهما بسيرين فوق المخلخل وقد كتب اسمهُ فوقهُ ولكن حروفهُ غير واضحة وامامهُ فارس ممتط جواداً اصهب وقد سدَّد رمحهُ وكاد يطعن به نمرة والنمرة واثبة على جوادهِ وفي صدرها نبلةٌ ادمتها ووراءها كلب صيد واثب عليها وهو صغير جداً بالنسبة اليها كما انها هي صغيرة بالنسبة الى الجواد . والى جانب الجواد كلب آخر يغدو اليها ولبس الفارس مثل لبس البواق . وسرج الفرس كثير الزركشة كالسروج العربية المنقوشة وجلد النمرة مرقط والوانهُ سوداء وصفراء وفي عنق الكلب طوق وهو دقيق الاذنين وقد سال الدم من صدر النمرة . ووراء النمرة والكلب شجرة تشبه النخل او الدوم وبعد ذلك حيوانات مختلفة منها حيوان كالاسد وقد ازبأرَّ وفغر فاهُ ودلع لسانهُ ولكن كتب فوقهُ انهُ نمر

ومن الصور الكثيرة صورة زرافة وخنزير بري ووعل وتنين وهو حيوان مجنح في صورة الاسد او النمر . وفيل وفرس بحر واسماك كبيرة وحمار وحش وعناق الارض الى غير ذلك مما يطول شرحهُ

وهناك كتابات يونانية كثيرة فعلى باب الجناح الجنوبي من القبر الاول كتابة يقال فيها ابولوفانس بن سمايوس كان ركن الصيدونيين في مريشة ثلاثاً وثلاثين سنة وهو اشد ابناء عصرهِ حباً لوطنهِ توفي وعمرهُ اربع وسبعون سنة

ويدل شكل الكتابة على انها من القرن الثالث قبل المسيح . والاسم ابولوفانس يوناني ولكنهُ كان شائعاً في فينيقية والاسم سمايوس سامي وقد ورد في الاصحاح الثاني من سفر الايام الاولى والكلمة هناك سمايي والكلمة التي ترجماها بكلمة ركن هي ارکاس ومنها ارخون

اي رئيس وقد عربت قديماً ومنها اراخنة او اراكنة في العربية . ويدلُّ لقب هذا الرجل على ان جماعة من اهالي صيداء سكنوا مدينة مريشة وكان ابولوفانس بن سمماي زعيماً لهم

ومن الكتابات العربية المسطورة على قبر من هذه القبور محاورة شعرية بين حي وميت

قالت الحي للميت . أليس في طاقتي ان افعل لك شيئاً او اسرَّك بشيء

الميت للحي . كلاَّ فاني راقد مع آخر (مع الموت) ولكن حبي لك لن يحول

الحي للميت . يسرني وحق الزهرة ان رداءك لا يزال عندي رهناً

الميت للحي . ولكني بعدتُ عنك فائتر حرَّة افعلي ما تشائين

لشيعي الجنازة والنادبين لا تلطموا حائطاً لا يرد جواباً قضي الامر . دخلت من الباب وقدت

والكتابة من القرن الثالث قبل المسيح كما يستدل من شكل حروفها

وقد وجدت قبور مثل هذه في بلاد اليونان وقرطاجنة ومصر وسورية وفينيقية . والظاهر انها نشأت في القطر المصري اولاً ثم شاعت في بقية البلدان

وفي الكتاب كثير من الفوائد التاريخية ولو وجدت في الممالك العثمانية ادارة كبيرة لحفظ الآثار القديمة لسعت في ترجمته الى العربية او التركية لان العثمانيين احرى من غيرهم بالوقوف على فوائدهم . فشكر للذين اشتركوا في اكتشاف هذه المدافن وحل رموزها ووضعوا لها هذا الكتاب النفيس

الحضارة الاثينية القديمة (١)

ان موضوعنا هو الحياة الاثينية وبحثنا مقصور على حضارة اثينا . ومن الخطإ في التاريخ ان نزعم — كما يفعل الكثيرون — ان ما يقال في احوال الاثينيين وعوائدهم عامتهم وخاصتهم يصدق ايضاً على اليونانيين (الاغريقيين) بوجه عام . فان بلاد الاغريق على المعنى القديم — هلاس — ليست هي بلاد اليونان الصغيرة المتحدة كما يؤخذ من الخريطة الحديثة . انما اثينا بلد يستميل القلوب قبل الابصار بل هي البلد الذي تفوق معلوماتنا فيه معلوماتنا في غيره : هي البقعة التي نبتت فيها الفنون واثمر العقل الانساني . هي التي خلَّفت لنا اثراً فاخراً خالداً اعتنى به تاريخها الحافل بالحوادث المدهشة . كان هذا البلدُ فوق ذلك اغزر بلاد اليونان سكاناً واحماها انفاً . ولكنها كانت عاصمة حكومة صغيرة هي حكومة « اتيكا » على انها كانت بعيدة

(١) محاضرة القيت في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية في شهر يونيو الماضي